سورة الحديد

obeikandl.com

﴿ سورة الحديد ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴿٣﴾ ﴾

فى الوجود والإحاطة فلا أولٍ قبله ولا آخر بعده.

﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

من شدة ظهوره فى الكون بطن، فكان بطونه أتم من ظهوره، ولما كان بطونه أتم من ظهوره لم يكن هناك دليل على بطونه وانحجابه.

ولذا قال السادة العارفون: ليس من الأدب أن نقول ان الله محجوب عنا بل من الأدب أن نقول نحن محجوبون عن الله، وأين الدليل يا أخى على بطونه وانحجابه، وهذه آياته ملأت الكون ودلائله بدت مضيئة صارخة بعظمته.

ويقول فى ذلك شيخنا عبد المجيد الشريف ﷺ: إن الحق سبحانه وتعالى غير محتاج إلى ظهور وبدو، بل ظهوره فى قلوب العارفين أتم وأكمل، وإنما أتى الكلام فى حق أهل الحجاب الذين انحجبوا عنه لشدة ظلام قلوبهم وكثرة عصيانهم لخالقهم فلم يزدهم ذلك إلا بعداً عنه وحجاباً، فالمعاصى والذنوب هى الحجاب الأكبر لرؤيته سبحانه ومطالعة تجلياته فى الأكوان، ومن هنا أتى انكار أهل السواد والغفلة.

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

لا أنتم معه، فلذلك نزهوه عن المكان والزمان وأوصاف الحدث، ولا تضيفوا إليه إلا مايليق به سبحانه من صفات الجمال والجلال

والكمال.

أقول: واعلم أن هذه الآية فيها نفى للحدود المكانية المتعلقة بالكون، فإن الكون الإلهى يا أخى لاتعرف له حدود وجهات، فمن حد ملكه سبحانه فقد حده هو وألزمه بالمكان وأعطاه أوصاف الحدث، وحاشاه سبحانه من ذلك، فإن ملكه دال عليه هو سبحانه وعلى عظمته، وفى الحقيقة أن الدلائل العلمية فى علم الفيزياء والفلك دالة على أن الكون ليس له حدود، بل هو فى تمدد وتوسع دائم.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾.

وفى الحقيقة أنه لايوجد ليل ولا نهار بل العين واحدة، وحقيقة هذا الولوج أنه فى عين واحدة، ولذلك لم يكن اللونان فى الجنة، بل كان أهل الجنة فى عين واحدة، ويختفى عنهم الظلام ويكونون فى ضوء تام، وتختفى صفة الإثنينية عنهم، وإنما حدث الولوج فى الدنيا لكونها دار التلونات ودار الظلم والمعاصى والذنوب.

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

ومن نظر وتحقق بهذه النظرة من العارفين احتقر نفسه أن يشارك الله فى ميراثه، لكونه سبحانه له ميراث السموات والأرض، فلا نشاركه سبحانه فى تملك شئ من ميراثه، ولذلك كان السادة الأنبياء لايتركون ما يورث، وكما قال النبى ﷺ : ((**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**)) وذلك لاستحيائهم أن يراهم الحق سبحانه وهم فى شراكة معه فى ملكه فافهم.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

هؤلاء هم أصحاب العد والإحصاء على الله، وأما المقربون فلا ينظرون إلى مضاعفة، قد ألغوا العدد والإحصاء، أولئك هم الذاتيون، لهم شأن آخر مع ربهم، هم فى واد والناس فى واد آخر.

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

وهو نور النبوة والولاية، وهبه الله لهم منذ ألست بربكم إلى يوم يلقونه.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾

وإنما قيل لهم: ارجعوا وراءكم لما طلبوا منهم أن يقتبسوا من نورهم ،لكون جهة الوراء هى جهة التردد والشك وانقطاع الاستمرارية فى العمل، وأما جهة الأمام فهى جهة التقدم فى العمل والإخلاص فيه، وإنما أشير إلى المنافق بالرجوع إلى الوراء لكونه منبع الصفات الذميمة وانقطاع الهمة فى التقدم والتقاعس عن الله، وهى أوصاف مذمومة غير محمودة ولذا قيل لهم فيما بعد:

﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿١٦﴾ ﴾

إلهاب وتحريض لأصحاب البدايات ولأصحاب التلونات أن ينتقلوا إلى ماهو أعلى وأتم ولا يرجعوا إلى وراء.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

الأرض هى قلوب العارفين الصدأى إلى أمطار تجلياته سبحانه، والمنتظرة للإرواء من بروق مزون فيوضاته.

فلا يحيى موتها سواه سبحانه.

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢٥﴾ ﴾

أنزله سبحانه – أى الحديد – لاختبار الآدمية ما الذى ستصنع به ؟ ومن سيستغل بأسه الشديد ومنافعه فى ترويع الآمنين وظلم البشر وإفساد عقولهم به، من نحو صنع المدافع والدبابات والطائرات الحربية وسفن الفضاء والصواريخ والقنابل والسيارات والبواخر وأجهزة التجسس وأجهزة الفساد التى ملأت البيوت من أطباق الدش وشبكات الإنترنت والفيديو كليب، كل هذا لايتم إلا بإدخال الحديد أو جزء منه فى هذه الأجهزة، فهل استغلت الآدمية هذا الحديد الاستغلال الأوفى الذى يرضى الحق سبحانه ؟.

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

أى لكى يعلم الله هو ورسله من سينصره باستخدام هذا الحديد فى

منفعة الناس وعدم افساد حياتهم وتدميرها بهذا الحديد، خائفا – أى هذا الناصر – من الله رغم عدم رؤيته لربه سبحانه، إلا أنه علم أن هناك رباً سيحاسبه، وإن لم يره بعينه ويسمعه بأذنه، وهذه هى صفة من نصره ربه بالغيب.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

أى أن أهل الكتاب – لاسيما أهل أوروبا الحاليين – نعم قدروا واخترعوا وتمكنوا من العلم الحديث، وفعلوا به الخوارق التى لاتوصف، إلا أنهم برغم هذا كله خسروا كل شئ، ولم يهتدوا لطريق الحق وماتوا على الكفر الصريح، ونظروا إلى هذا المسلم على أنه ضعيف مقهور، إلا أنه هو الفائز الحقيقى عند مولاه وهو صاحب النور الإلهى وهم أصحاب الظلام الدامس، نعم هم كسبوا الدنيا لكنهم خسروا الآخرة، وهذا الفضل كان بيد الله وحده، ولايستطيع أحد أن يمنع هذا العطاء الإلهى أن يصل إلى عبده المؤمن المستضعف الذليل.